وظيفة الحِجاج في نهج البلاغة (قراءة في الأنماط والدلالات)

الدكتور هادي شندوخ حميد السعيدي
الدكتور حيدر بـــرزان سكران العكيلي
جامعة ذي قار ـ كلية الآداب
قسم اللغة العربية

Abstract

((Argumentation function in Nahj Al -Bilagih –Reading in patterns and significances))

Argumentation has instrumental function in human mind organization due to the impact of the dominant cultural structure Where prophet messages are structured on the idea of argumentation which would lead to construct and reform the human mind ، the reseach Character imam Ali is an obvious example of perfect harmony between theory and practice in dealing with hytimme problems

The reseach is of introduction and two sections

The introduction tackles the Concept of argumentation Linguistically and idiomatically and the relationship between argumentation and N ahij Al Bilaaih with indication to reasons

The first section examines the argumentatiy patterns : doctrinal , ethical, legislative, or humanistic

The second section investigates the argumentation significance and its linguistic Characteristics

The reseach main results are as follow:

- The argumentation has intentional functions resulted from situation and attitude which are being psychologically socially and polically Confused
- The argumentation in Nahij Al – Blaqih goes beyond linquistic norm to the domain of guidiance and instruction
- The variety of argumentation in Immam Ali Discourse in Nahij Al –Blaqih
- The openness of argumentative discourse to other Styles as : Verbosity description deletion preference of Verbal
- Sentence rather than nominal one inclusion and repetition

Dr. Hadi Shandoulch Hameed
Dr. Haidir Birzan sikran

لم تنتظم ثقافة العقل العربي على الجدل أو المحجاجة،بتأثير من البنية الثقافية السائدة، فالموروث الثقافي من التقاليد والعادات،وجهَّه نحو الواضح والمعايش في الحياة والمجتمع فكثيرا مايلحظ في مسرح التجربة والسيرة،السؤال عن حدود مايرى ويسمع،بحكم التداخل وحضور الوافد المؤنس لما يريدوه، فالمعروف أن الجزيرة العربية كانت موطن اللقاء والتثاقف يعرض فيها ماألفه الذهن أو استساغه شعراً كان أم فكراً غيبيا أم إسقاطا لاهوتيا،الأمر الذي رسخ بدائية التفكير وأغلق رحلة البحث عن المعرفة بوساطة السؤال أو الجدل أو الحجاج الذي يستدل به على المجهول،إلى الحد الذي يفسر كلام الله عندهم بأنه كلام ساحر أو شاعر،إنصياعا إلى تلك النزعة المغلقة من التفكير.

ومن جراء هذا الإنقطاع عن المعرفة، لم تنبعث الرؤى المختلفة،أو تشقق الأفكار،التي تجد لها قبولا أو مستقرا عند الآخر، فلطالما نشبت من وراء ذلك الأفق الضيق،الصراعات والمنافسات المحتدمة، نتيجة عدم الاستيعاب لحقيقة الخلاف في الرأي.وعده عاملا مهما في انفتاح الفكر واتساع رقعة المختلف فيه،حتى يمكن النظر إلى قضايا الكون والحياة والإنسان بأكثر من منظار.لذا كان

من المنطلقات الأولى في الخطاب القرآني تصحيح المسار الفكري لمبدأ الحوار أو الجدل وتوجيهه بما يحقق للإنسان إنسانيته وللمجتمع ديمومته في التعايش والتعارف القائم على الحسنى.بعيدا عن الحجاج السلبي وقصد إلغاء الآخر وتسقيطه من خلال تزييف قناعاته وتشويهها.

وعلى هذا الهدي كانت رسالة الأنبياء والمصلحين حيث التأطير التطبيقي لمباديء الحجاج الهادف المقوم للعقل البشري الحاكم على هذا الكون ((فالكون وجد للجميع ،والحياة من حق الجميع ، والصراع في الحياة حقيقة صاخبة بالشواهد الحية ، ولكن ينبغي أن يتأطر هذا الصراع ، بالقيم الأخلاقية .. وينأى عن مصادرة قناعات الآخرين))(١).

ولعل علي بن أبي طالب (**u**) مثال واضح في التنظير والتطبيق على ممارسة وظيفة الحجاج الفاعل في تعاطيه مع قضايا عصره،فلم يكن مقصد الإمام (**u**) إفحام خصومه وإن كانت نواياهم في غير محلها،بل كان ناطقا ومظهرا للحقيقة على وفق طريقة القرآن الكريم ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل:من الآية ١٢٥]،فيما يخص حواره مع الآخر،وتارة تراه معترضا على من توهم في معتقده وضل ضلالا بعيدا،فيقوم بتوجيهه وتحريك نوازع فطرته للإقرار بمبدع هذا الكون وعظيم صنعه في هذا الوجود.وأخرى تجده (**u**) يقوم بالحجاج في معرض بيان الخطل في الفهم وسوء التأويل الذي تُبتغى منه الفتنة في الأمة،بإسلوب حكيم قائم على الإستدلال والبرهنة في فساد ماذُهب إليه .

وكل ذلك قائم على إسلوب ذي مقصد دلالي مختلف بين نمط وآخر،يكتنز بطاقة لغوية تقوم على التباين في إستعمال الخصائص اللغوية بأساليبها المختلفة من حذف وذكر أو تقديم وتأخير،وتعريف وتنكير وفصل ووصل وعدول وتكرار وغير ذلك. بسبب إختلاف الخطاب تارة ومراعاة حال المتلقي تارة أخرى. كون اللغة ((بمثابة الكاشف عن مكنون النفس والعقل ذلك المكنون الذي يترجم بإستدعاء المواقف والظروف إلى واقع حقيقي في صورة أحداث فعلية)) (٢)، من هنا ارتأى البحث أن يكون العنوان (وظيفة الحجاج في نهج البلاغة)، بخطة تنتظم من مدخل ومبحثين،في المدخل سيُبين، الحجاج في المنظور اللغوي

والاصطلاحي،ثم إرتباط الحجاج بنهج البلاغة مع الإشارة إلى الأسباب،أما المبحث الأول فسيخصص لأنماط الحجاج في نهج البلاغة سواء أكانت عقدية أو أخلاقية أو تشريعية أو إنسانية،وفي المبحث الثاني سيوقف على دلالات الحجاج وخصائصه اللغوية في النهج ،مظهرا أهم اللمسات الأسلوبية في تلك الأنماط المتنوعة.يلي ذلك خاتمة بنتائج البحث ومن ثم الهوامش، ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعه .

مدخل: الحجاج في المنظور اللغوي والاصطلاحي .

للحجاج موقع واضح في المدونة اللغوية،بدءا بالمصنفات الأولى التي عملت على الحفر المعرفي في تحديد الجذر اللغوي،ومعرفة دلالته الوضعية،حيث العراقة الأعرابية غير المشوبة باللحن أو التأثير الأجنبي،قال الخليل:((والحُجَّةُ: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة. والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه بكذا))(٣)، وتأتي "الحُجَّةُ " بالضَّمّ بمعنى الدَّلِيلُ و البُرْهَانُ وقيل ما دُفِعَ به الخَصْمُ (٤)، فهي بذلك المعنى تكون ذات حمولة سلبية قائمة على المغالبة والمخاصمة،قال أبن عاشور:((إن حاجَّ لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة... وإن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل))(٥)،وهذا ما يكشف عنه التعبير القرآني في استعمال تلك المادة .* أما الجدل فهو مفهوم أوسع من الحجاج فمنه ماهو حق ومنه ماهو باطل كما يفهم من الاستعمال القرآني(٦)،ولم يبتعد المعنى الإصطلاحي عن ذلك قال أبو هلال العسكري : ((الحجاج هو ظهور الحجة))(٧).

أما إرتباط الحجاج بنهج البلاغة،فأمرٌ لا يمكن إنكاره،فإذا أردنا تأصيل المصطلح نقول إنه ورد أكثر من مرة في إستعمالات الإمام (**u**) ليدل على معان متنوعة،قال (**u**): واصفا القرآن :بأنه ((شَاهِدٌ لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَ فَلْجٌ لِمَنْ حَاجَّ بِهِ))(٨)،أي الظفر و الفوز لمن استدل به ،وفي نص آخر يقول (**u**):((وَ لَمَّا اِحْتَجَّ اَلْمُهَاجِرُونَ عَلَى اَلْأَنْصَارِ يَوْمَ اَلسَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اَللَّهِ (**r**) فَلَجُوا عَلَيْهِمْ فَإِنْ يَكُنِ اَلْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ وَ إِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ من الحكمة)) (٩)،أي ظفروا وفازوا في حجاجهم ،وقال (**u**):لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان:((أَ وَ لَمْ يَنْهَ ؟ أُمَيَّةَ ؟ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي أَ وَ

مَا وَزَعَ اَلْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي وَ لَمَا وَعَظَهُمُ اَللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ؟ اَلْمَارِقِينَ؟ وَخَصِيمُ اَلْمُرْتَابِينَ وَعَلَى كِتَابِ اَللَّهِ تُعْرَضُ اَلْأَمْثَالُ))(١٠)،أي مغالب الخارجين عن الدّين بإظهار الحجة عليهم في الدّنيا و الآخرة و مخاصم الشّاكين في الدّين أو في كلّ حقّ ،من بني أمية و غيرهم(١١)، وغير ذلك كثير.

كثرة لها أسبابها منها مايعود إلى أوليات صراع قديمة،غير محدودة الأثر طفقت تظهر على السطح رغبة في السلطة وما تمنحه من مبررات غير مشروعة في تحقيق المصالح الذاتية ،الامر الذي واجهه علي (**u**)،ولم يسمح بإستفحاله،إلى الحد الذي نتج عن تلك المواجهة قيام حروب مريرة وتمردات غير منقطعة تحاول قلب كفة الحكم لصالحها .

فرؤية علي (**u**) للحكم ليس منطلقها الهوى أو الغريزة،أو المطلوب الحكم بذاته والوصول إلى السلطة والحفاظ عليها ،بل الدافع هو إقامة العدل وحكومة الدين القيم على المجتمع (١٢).

ومنها ما يعود إلى الطبيعة النفسية للمجتمع آنذاك ((فالظاهر أن الإنسان مجبول على التنازع في صميم تكوينه فإذا قل التنازع الفعلي في محيطه لجأ إلى إصطناع تنازع وهمي ليروح به نفسه))(١٣)،يضاف إلى ذلك السبب الفطري ،هو كراهة الإنسان للحق والعدالة المثلى التي بسطها علي (**u**) بحكم الميل النفسي والإنجذاب لمباهج الحياة وملذاتها،لذلك نفروا منه (**u**) ونصروا أعداءه عليه.

وأعتقد أن السبب القبلي من الدوافع المهمة التي دفعت لمظاهر الحجاج بين الإمام (**u**) ومناوئيه فميل كل قبيلة لنفسها ، وكراهتها لرفعة الأخرى،أصبح واضحا في زمن الإمام (**u**)،فكل أخذ يتعصب لجلدته بعيدا عن المبادئ التي جاء بها النبي (**r**) واستوحاها من هدي القرآن ، ولعل السبب في ذلك هو إنغماس المد القبلي في النفوس على مستوى الفعل أو الإعتقاد أو العلاقة ، الذي مابرح يشكل فضاءً صريحا ينطلق من الأفواه محتجاً على قيادة الإمام أو فعله في أمور حياتهم الدنيوية والأخروية ، ولعل فيما يلي من نصوص ستكشف عن ذلك .

المبحث الأول :أنماط الحجاج في نهج البلاغة

لم تكن النصوص الحجاجية الواردة على لسان الإمام (**u**) تتخذ طابعا واحدا ،فالغالب فيها تنوعها من مظهر إلى آخر ، بحكم المقام وسياقاته الموضوعية المتطلبة لذلك المسلك من الحجاج من ذلك مثلا قوله (**u**):حينما سأله ذعلب اليماني هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟ فقال (**u**):((أفأعبد ما لا أرى فقال و كيف تراه فقال لاَ تُدْرِكُهُ اَلْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ اَلْعِيَانِ وَ لَكِنْ تُدْرِكُهُ اَلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ اَلْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ اَلْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلاَمِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ لاَ بِرَوِيَّةٍ مُرِيدٌ لاَ بِهِمَّةٍ صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لاَيُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ تَعْنُو اَلْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَ تَجِبُ اَلْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ))(١٤)،كان هذا السؤال من السائل من باب التعنّت و التقرير بقصد التعجيز عن الجواب لا الاستفهام الحقيقي الباحث عن الحقيقة.((فقال عليه السّلام أفأعبد ما لا أرى، إنكار لعبادة ما لا يدرك ، لأنّ العبادة متضمّنة للسؤال و المخاطبة و المكالمة و طلب الرحمة و المغفرة و غير ذلك من الخضوع و الخشوع و التضرّع و التملّق و الاستكانة و هذه كلّها تستدعي حضور المعبود و إدراكه و رؤيته.و لما توهّم السائل من كلامه عليه السّلام أنّ مراده به رؤية البصر أعاد السؤال و (قال و كيف تراه) على سبيل الاستفهام التوبيخي يعني أنّ رؤيته غير ممكنة فكيف ادّعيتها .فأجابه عليه السّلام لا تدركه العيون بمشاهدة العيان يعنى أنّ رؤيته ليست بالعين و بمشاهدة القوّة البصرية الجسمانية،فانّ هذه غير جايزة،و لكن (تدركه القلوب بحقايق الإيمان) أي تدركه العقول الصافية عن ملابسة الأبدان و غواشي الطبايع و الأجرام بحقايق الإيمان أي بأنوار العقليّة الناشئة من الإيمان و الاذعان الخالص))(١٥)، وهذا فيه إفصاح جلي على إرادة الإمام (**u**) في بيان أهم الموارد الإشكالية المتعلقة بالخالق جل وعلا،وإن وردت على لسان من يبحث عن الجدل والمماراة في ذلك .

فالمسائل العقائدية آنذاك لم تكن بالطارئة عليهم،حيث منشأ الشرك والوثنية في البدايات، والتحول إلى عبادة آلها واحد إبان نزول القرآن** لذلك نرى المحاجج تقصد الإثارة والإلحاح على الرؤية الآلهية ، فماكان من الإمام (u) إلا أن يبين حقيقة تلك الرؤيا بإسلوب يعمل على ترسيخ الإيمان وتثبيته في الذهن بشكل يتفاعل بعضه مع بعض داخل النسيج العقلي المؤمن بتلك الصفات الآلهية؛لأن وظيفة الحجاج هنا لم تقف عند حدود المحاجج بل تتعداه إلى المتلقي المطلق الذي لايحصر في مدى المخاطب وقت إذ.

وفي نص آخر يقول (u): حِينَ قَالَ لَهُ : ((بَعْضُ اَلْيَهُودِ مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اِخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقَالَ (u) لَهُ إِنَّمَا اِخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ وَ لَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ اَلْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ اِجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ))(١٦)،أجاب (u) اليهود بأنّ اختلافنا بعد نبيّنا فيما صدر عنه صلوات اللّه عليه في أمر الوصاية و لا اختلاف بيننا في ما جاء به من التوحيد،و لا في نبوّته،و أما أنتم اليهود فقد اختلفتم في حياة موسى (u) في أصل دعوته و هو التوحيد و معرفة اللّه تعالى فقلتم له:اجعل لنا صنما إلها نراه و نعبده فما أسوأ حالكم(١٧)،إذن فالدعوى الحجاجية المضادة لم تكن مسوغة القبول وغير هادفة في الوصول إلى الحقيقة،بل كانت منطوية على منابع السجال والانتقاص من المسلمين،استطاع الإمام (u) تفكيك منظومة السؤال ورده بسياق توضيحي يقوم على النقض والرد المؤكد الثابت في معتقدهم حينما طلبوا من نبيهم أن يجعل لهم إلها .فضلا عن ذلك أن طريقة الحجاج عند الإمام تشربت بدعوة عقلية تحرك المخاطب صوب حقيقة التوحيد و ماهم عليه من وهم في تلك العقيدة،ودعوة وجدانية تنطلق إلى دواخل النفس وتثيرها إلى مراجعة الجهل الذي لا يليق بما أراده الله لتلك النفس البشرية،وهي طريقة لا تخرج عن ((حجة الاستشهاد الذي غايته توضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في الذهن))(١٨).

و من كلام له (u):للسائل الشّامي لمّا سأله:أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟:قال الإمام (u):((ويحك لعلّك ظننت قضاء لازما، و قدرا حاتما، و لو كان ذلك كذلك لبطل الثّواب و العقاب، وسقط الوعد و الوعيد، إنّ

اللّه سبحانه أمر عباده تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلّف يسيرا، ولم يكلّف عسيرا، و أعطى على القليل كثيرا، ولم يعص مغلوبا، ولم يطع مكرها، ولم يرسل الأنبياء لعبا، و لم ينزل الكتب للعباد عبثا،و لا خلق السّموات و الأرض و ما بينهما باطلا ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [سورة ص: من الآية ٢٧]))(١٩). فالسؤال هنا لم يخل من الجدل في ملحظ عقائدي آخر يتعلق بقضاء الله وقدره،فقد روى أبن أبي الحديد القصة كاملة قال:((قام شيخ إلى علي (u) فقال:أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أ كان بقضاء الله و قدره فقال: و الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما وطئنا موطئا و لا هبطنا واديا إلا بقضاء الله و قدره فقال الشيخ فعند الله أحتسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئا فقال مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم و أنتم سائرون و في منصرفكم و أنتم منصرفون و لم تكونوا في شي ء من حالاتكم مكرهين و لا إليها مضطرين فقال الشيخ و كيف القضاء و القدر ساقانا فقال: ويحك لعلك ظننت قضاء لازما و قدرا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب و العقاب و الوعد و الوعيد و الأمر و النهي و لم تأت لائمة من الله لمذنب و لا محمدة لمحسن و لم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء و لا المسيء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عباد الأوثان و جنود الشيطان و شهود الزور و أهل العمى عن الصواب و هم قدرية هذه الأمة و مجوسها إن الله سبحانه أمر تخييرا و نهى تحذيرا و كلف يسيرا و لم يعص مغلوبا و لم يطع مكرها و لم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا و لم يخلق السماوات و الأرض و ما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشيخ فما القضاء و القدر اللذان ما سرنا إلا بهما فقال هو الأمر من الله و الحكم ثم تلا قوله سبحانه﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلا إِيَاهُ ﴾[سورة الإسراء:من الآية ٢٣]))(٢٠).

فالرد الذي أفصح به الإمام (u) يقوم بوظيفة التبصرة لما أشكل فهمه وتداخل على السائل،بمسلك انتقل فيه الإمام من الإنكار إلى الإستدلال مصعدا نبرته الإقناعية بالاقتباس القرآني المنسجم مع واقع النص،لإحراز أكبر أثر في المخاطب الذي ألبس عليه الفهم والتدبر.

وتارة يأخذ الحجاج عند الإمام (**u**) صورة أخرى قوامها التهذيب الأخلاقي،يقول (**u**) مخاطبا الزبير:((يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَ اِدَّعَى اَلْوَلِيجَةَ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ وَ إِلاَّ فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ))(٢١)، فالزّبير بعد نكثه بيعته (**u**) كان يعتذر عن ذلك،فيدّعي تارة أنّه اكره على البيعة و (يزعم) أخرى أنّه ورّى في ذلك تورية و نوى دخيلة و (أنّه قد بايع بيده و لم يبايع بقلبه) فأجاب (**u**) عنه و ردّ ادّعائه بأنّه (قد أقرّ بالبيعة) بتسليمه البيعة بيده ظاهرا و (ادّعى) أنّه أضمر في باطنه ما يفسد بيعته من (الوليجة) و البطانة و هذه دعوى لا تسمع منه و لا تقبل شرعا ما لم ينصب عليها دليلا و لم يقم عليها برهانا (فليأت) على إثباتها (بأمر يعرف) صحّته و دليل يتّضح دلالته (وإلاّ) أى إن لم يقم عليها برهانا كما أنّ الشّأن ذلك (فليدخل فيما خرج منه) من طاعته عليه السّلام و انقياد حكمه و ليمض على بيعته(٢٢)، فالمخالفة بين الظاهر والباطن أملت على الإمام (**u**) التوجيه والتقويم، لما في ذلك من تبعات جرَّت ويلاتها على الأمة، وأحدثت شرخا في صفوف المسلمين .فالمنطلق إذن في الوظيفة الحجاجية هنا هو إعلاء القيم الرفيعة في النفس بعيدا عن تضاد العقيدة والتصور،وإغلاق التمويهات والأباطيل الملتوية في النفوس المريضة المرتبطة بمنطلقات سلوكية دافعها الحسد والغيرة وإيثار المصالح على المبدأ الحق.ولا يبتعد أن يكون التقريع والتوبيخ وظيفة لازمة للحجاج،لما في ذلك من إنزال للمعاند عن غيه وتسفيه لرأيه.

يقول (**u**) لمعاوية:((ومَتَى كُنْتُمْ يَا ؟ مُعَاوِيَةُ ؟ سَاسَةَ اَلرَّعِيَّةِ وَ وُلاَةَ أَمْرِ اَلْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَ لاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ اَلشَّقَاءِ وَ أُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ اَلْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ اَلْعَلاَنِيَةِ وَ اَلسَّرِيرَةِ وَ قَدْ دَعَوْتَ إِلَى اَلْحَرْبِ فَدَعِ اَلنَّاسَ جَانِباً وَ اُخْرُجْ إِلَيَّ وَ أَعْفِ اَلْفَرِيقَيْنِ مِنَ اَلْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا اَلْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَ اَلْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ فَأَنَا ؟ أَبُو حَسَنٍ ؟ قَاتِلُ جَدِّكَ وَ أَخِيكَ وَ خَالِكَ شَدْخاً ؟ يَوْمَ بَدْرٍ ؟ وَ ذَلِكَ اَلسَّيْفُ مَعِي وَ بِذَلِكَ اَلْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي مَا

اِسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَ لاَ اِسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً وَ إِنِّي لَعَلَى اَلْمِنْهَاجِ اَلَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَ دَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ))(٢٣)،فالنمو الفكري القائم على المراوغة والتضليل ،لم يلبث أن يكشفه الإمام (u) ويتجاوزه إلى رؤية واقعية ذلت حيز واضح تجلت بشكل لايمكن إنكاره يوم بدر،وبأدوات تستبطن الاستفهام التوبيخي لما يدّعيه المخاطب في حركة التاريخ من جهة،والتأكيد المثير للكوامن الساكنة والمضلة برجاحة المعتقد الذي أدلى به الإمام (u) من جهة أخرى.ويبدو إن تكثيف الخطاب الحجاجي عند الإمام (u) مع معاوية،كان يستهدف بالأساس كشف البواعث النفسية الموغلة في الحقد عند معاوية وأتباعه على ماجاء به الإسلام وما أقره من تعاليم،وما كان يضمره من كيد وتمويه للمبادئ الإنسانية،لذا نجد الإمام (u) يركز على رفض هذا المبدأ ونسف أصوله ومرتكزاته بالدليل العقلي والنقلي الصارخين.

من ذلك قوله (u):((فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ اَلشَّامَ ؟ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ اَلْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ اَلْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ اَلْعَرَبَ إِلاَّ حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ أَلاَ وَ مَنْ أَكَلَهُ اَلْحَقُّ فَإِلَى اَلْجَنَّةِ وَ مَنْ أَكَلَهُ اَلْبَاطِلُ فَإِلَى اَلنَّارِ وَ أَمَّا اِسْتِوَاؤُنَا فِي اَلْحَرْبِ وَ اَلرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى اَلشَّكِّ مِنِّي عَلَى اَلْيَقِينِ وَ لَيْسَ أَهْلُ ؟ اَلشَّامِ ؟ بِأَحْرَصَ عَلَى اَلدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ ؟ اَلْعِرَاقِ ؟ عَلَى اَلْآخِرَةِ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا ؟ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ؟ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَ لَكِنْ لَيْسَ ؟ أُمَيَّةُ ؟ كَهَاشِمٍ ؟ وَ لاَ ؟ حَرْبٌ ؟ كَعَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ ؟ وَ لاَ أَبُو سُفْيَانَ ؟ كَأَبِي طَالِبٍ ؟ وَ لاَ اَلْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَ لاَ اَلصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ وَ لاَ اَلْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَ لاَ اَلْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ وَ لَبِئْسَ اَلْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ فِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ اَلنُّبُوَّةِ اَلَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا اَلْعَزِيزَ وَ نَعَشْنَا بِهَا اَلذَّلِيلَ وَ لَمَّا أَدْخَلَ اَللَّهُ اَلْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً وَ أَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ اَلْأُمَّةُ طَوْعاً وَ كَرْهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي اَلدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَ إِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ

اَلسَّبْق بِسَبْقِهِمْ وَ ذَهَبَ اَلْمُهَاجِرُونَ اَلْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً وَ لاَ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً))(٢٤).

فالوظيفة الحجاجية في رد الإمام (**u**)،عالجت مطالب متنوعة منها الثبات على الموقف والإصرار عليه، والإيمان بالعقيدة ومارسم فيها من حياة أخروية منوطة بعمل الحياة الدنيا، وإيضاح منطلق الواثق من إيمانه قبال المتذبذب في الرؤية والموقف ، وغير ذلك من المواطن التي أراد منها الإمام (ع) تحريك السلوك الأخلاقي والعقائدي والنفسي عند المخاطب المتجاهل لتلك الحقائق،عسى أن يكون ذلك التذكير محفزا ومنبها للغشاوة المنطلية على الأبصار، بعد أن تجاوز أسلوب الإقناع إلى أسلوب التهديد والتحذير .

ومن وظائف الحجاج الأخرى عند الإمام (**u**) السعي إلى تغيير حالة الإعتقاد السائدة،من خلال التذكير والإستدلال بآيات الله، قال (**u**): لمنجّم قال له:يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة و سر في ثلاث ساعات مضين من النهار،فقال أمير المؤمنين:و لم ذلك ؟ قال:لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى و ضرّ شديد و إن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت وظهرت و أصبت كما طلبت.فقال (**u**):((أَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَ تُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ،وَاسْتَغْنَى عَنِ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَ دَفْعِ الْمَكْرُوهِ ؛ وَ تَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ، لأنك ـــــ بِزَعْمِكَ ـــــ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ، وَأَمِنَ الضُّرَّ))(٢٥).والواقع أن هذا المنطق مرفوض فالإسلام إيمان بالله و بالعلم و العمل لحياة أفضل،و بالقيم التي لا ينكر شيئا منها عاقل على وجه الأرض من حيث هي قيم و مثل عليا، و من البداهة و هذه هي حقيقة الإسلام أن يرفض الكهانة و لا يقبلها بحال ، كيف و الإسلام يدعو إلى تحرير الإنسان من الأغلال و العقل من الأوهام ، و يأمر بإتباع العقل و العلم و لو أقر الإسلام الكهانة و

الخرافة لم يكن له تاريخ و لا حضارة(٢٦)،فالمعارضة والتحول إلى مبدأ العقل عند الإمام ضرورة لايمكن تجاهلها في منطق الإسلام الواقعي،وإن كان التقليد الاجتماعي لما هو أسطوري مهيمن على العقل آنذاك ،لذا فتغيير النمط التفكيري بتلك الإجرائية الحجاجية عند الإمام (**u**)،من شأنه إعادة المنهج السليم في التفكير إلى نصابه بعيدا عن هيمنة ماوجدنا عليه آباءنا.

و من كلام له (**u**) و قد قام إليه رجل من أصحابه، فقال:نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها ، فلم ندر أيّ الأمرين أرشد ؟ فصفّق عليه السّلام إحدى يديه على الأخرى،ثم قال:((هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ اَلْعُقْدَةَ أَمَا وَ اَللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى اَلْمَكْرُوهِ اَلَّذِي يَجْعَلُ اَللَّهُ فِيهِ خَيْراً فَإِنِ اِسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَ إِنِ اِعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَ إِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتِ اَلْوُثْقَى وَ لَكِنْ بِمَنْ وَ إِلَى مَنْ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَ أَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ اَلشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا))(٢٧)، فالإمام (**u**) يقدم احتجاجه بطريقة وعظية وجدانية،لها آثارها في الإصلاح المستقبلي،وإن كان فيها مالا تطيقه نفوسهم،أو تذعن له أهواؤهم،بطريقة تنتظم التنويع في الإحتجاج من إشعارهم بخطأ مارتكبوه من ترك الرأي والحزم على الموقف المقتضي للثبات على الحرب و البقاء على القتال،و إصرارهم على إجابة أصحاب معاوية إلى المحاكمة،وإفهامهم بمنهجه الذي يشخص الأحداث ومراحل سيرها وما تؤول إليه،بتلك العملية التبادلية القائمة على الحوار الحجاجي كون ((عملية الفهم والتفسير من خلال الحوار لايمكن أن تحدث في إتجاه واحد يسير من الأنا إلى الآخر فهذه العملية ينبغي أن تسير أيضا من الآخر إلى الأنا))(٢٨)،لأن هذه الوسيلة من التقابل الحجاجي (الأنا والآخر) تدفع بالمتلقي إلى تقبل هذه الهزة المباغتة للأشياء المضادة في تفكيره الراسخة في قناعاته.ويلحظ في نص آخر عند الإمام (**u**) وظيفة حجاجية جديدة تفضي إلى التمهيد بقبول رأي المحاجج لأول وهلة ثم المبادرة بتفنيد ما يذهب،بما يسمى بالحجاج النقضي،من ذلك قوله (ع) للخوارج لما سمع قولهم لا حكم إلا لله قالَ:((كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ وَ لَكِنَّ

هَؤُلاَءِ يَقُولُونَ لاَ إِمْرَةَ إِلاَّ لِلَّهِ وَ إِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ اَلْمُؤْمِنُ وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا اَلْكَافِرُ وَ يُبَلِّغُ اَللَّهُ فِيهَا اَلْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ اَلْفَيْ ءُ وَ يُقَاتَلُ بِهِ اَلْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ اَلسُّبُلُ وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ اَلْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ))(٢٩)،إذ يمهد الإمام (u) في رده قبولا مفاجئا بإعتراضهم في قوله (كلمة حق) ولكن ليست المنطلقة على ألسنـــــتهم،بل هي الحقيقة القرآنية الساطعة المقومة للسلوك البشري،ثم أردفها بالحجاج الكاشف لزيغ قصدهم ومآربهم في ذلك الإعراض والتجني ،حيث حاول الإمام (u) إظهار الخلجات النفسية وما يعتمل فيها من حقد وإكراه ضد ماأراده (u) من جانب،وكشف الموقف الشرعي المطلوب حتى لاتلتبس الأمور وتنقلب المقاييس وتختلط المفاهيم من جانب آخر.فضلا عن ذلك يمثل هذا النص الحجاجي عمق المسافة الحوارية التي أبداها الإمام (u) بنقله لرؤاهم وطموحاتهم التي أرادوا تحقيقها ،دون أن يسلبهم حرية التعبير عن مبتغاهم ، مصححاً الوهم الذي وقعوا فيه من خلال التشخيص لمكامن الضعف في ذلك المطلب .

ولعل مدارسة السياقات الواردة في كلام الإمام (u)،يوقفنا على أنماط حجاجية أخرى تضاف إلى ما ذكر،من ذلك قوله (u) للبرج بن مسهر الطائيّ و قد قال له بحيث يسمعه: لا حكم إلاّ للّه و كان من الخوارج : ((اُسْكُتْ قَبَحَكَ اَللهُ يَا أَثْرَمُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ اَلْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ خَفِيّاً صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ اَلْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ اَلْمَاعِزِ))(٣٠)،فخطاب الإمام (u) هنا يستهدف إذعان السائل المعاند من خلال تلك الطريقة الحجاجية المبينة للخلل العقيدي في فهم منهج الحق ((فللحق أهلُ لا يشغلهم عنه شاغل،و للباطل أهلُ يهتف بهم فيستجيبون،و ما ظهر لهذا السفيه الأثرم أي أثر للحق في قول أو فعل . . حتى اذا ارتفع صوت الباطل لبّى و ظهر على المسرح))(٣١).لذا عمد الإمام (u) إلى إسكاته ففي نطقه ظهور للباطل وإيقاد للفتن،وليس من شك أن هذا الأسلوب من الحجاج ليس قمعا لفكر الآخر بقدر ماهو إخماد للتصورات الساذجة الخالية من أي مضمون سوى إثارة الإحتراب والإقتتال بين المعسكر الواحد .

ولا يبتعد الحجاج عند الإمام (u)،عن المقومات الثقافية الراسخة في ذهن المتلقي،إذ يعمد الإمام (u) إلى إنتزاع ذلك السلوك بالتنبيه على شناعته،أو بإجراء الأصلح وترسيخه في النفس من ذلك كلام له (u) قاله للأشعث بن قيس و هو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شي ء اعترضه الأشعث فيه فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض إليه بصره (u) ثم قال : ((وَ مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي عَلَيْكَ لَعْنَةُ اَللَّهِ وَ لَعْنَةُ اَللاَّعِنِينَ حَائِكٌ اِبْنُ حَائِكٍ مُنَافِقٌ اِبْنُ كَافِرٍ وَ اَللَّهِ لَقَدْ أَسَرَكَ اَلْكُفْرُ مَرَّةً وَ اَلْإِسْلاَمُ أُخْرَى مَرَّةً فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَ لاَ حَسَبُكَ وَ إِنَّ اِمْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ اَلسَّيْفَ وَ سَاقَ إِلَيْهِمُ اَلْحَتْفَ لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ اَلْأَقْرَبُ وَ لاَ يَأْمَنَهُ اَلْأَبْعَدُ))(٣٢)،قال الرضي:رحمه الله يريد (u) أنه أسر في الكفر مرة و في الإسلام مرة . و أما قوله (u) دل على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار و هو اسم للغادر عندهم (٣٣)،أما وصفه بالحائك فلأن ((الحائكين أنقص الناس عقلا،و أهل اليمن يعيرون بالحياكة،و الأشعث يمني من كندة،و قال عارف بأهل اليمن:ما فيهم إلا حائك برد،أو دابغ جلد،أو سائس قرد، ملكتهم امرأة،و أغرقتهم فأرة،و دل عليهم هدهد))(٣٤)، ولا أعتقد أن علياً (u) أراد هذا المقصد ،فمبدأه مبدأ القرآن حيث التقوى هي المقياس،فلعله أريد حياكة الكلام من الكذب والخيانة حيث تأليب الناس ودفعهم في الفتن. وعلى هذا فالحجاج ورد في سياق تشنيع تلك الثقافة البعيدة عما أراده علي (u) للناس .

المبحث الثاني : دلالات الحجاج في نهج البلاغة

لاشك أن الدلالة هي محصلة ناتجة عن طريق التعالق المفرداتي في أنساق معينة، ترتبط هذه المفردات ضمن ضوابط خاصة من النسبة والإسناد في النظام النحوي، وتختلف شكلا من حيث النوع والأسلوب،اللذين ينتجان إختلافا في الدلالة في نهاية الأمر.

وقد أولى البلاغيون إهتماما كبيرا بحال المتكلم والمخاطب ، وما يترتب على ذلك من مردودات دلالية تسهم في توجيه المعنى فذكروا:((إن الكلام إما

خبر أو إنشاء، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لاتطابقه أو لايكون لها خارج ، الأول الخبر والثاني الإنشاء، ثم أن الخبر لابد له من إسناد ومسند ومسند إليه))(٣٥)،والحجاج بوصفه حيثية من حيثيات الكلام فمن البديهي أنه لايخرج عن هذين المسلكين (الخبر والإنشاء) ،بفارق الدلالة بين إستعمال هذا الأسلوب أو ذاك،إذ عمد الإمام (u) إلى الإخبار في قوله للمغيرة بن الأخنس : ((يَابْنَ اللَّعِينِ الأَبْتَرِ،وَالشَّجَرَةِ الَّتي لاَ أَصْلَ لَهَا وَلاَ فَرْعَ أَنْتَ تَكْفِينِي ؟ فَوَاللهِ مَا أَعَزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلاَ قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ. اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ، ، فَلاَ أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ !))(٣٦)،لتقرير ذلك الوصف وتثبيته في ذهن السامع،تحقيرا وتقريعا لما صدر عنه ،فقوله عليه السّلام: (يابن اللّعين الأبتر) لأجل أنّ أباه وهو الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين... و ابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أمير المؤمنين (u) يوم احد كافرا في الحرب،و هو أخو المغيرة و الحقد الذي كان في قلب المغيرة إنّما كان من هذه الجهة ،و أمّا وصفه بالأبتر...، فلانقطاعه عن الخير كلّه فيكون إطلاقه عليه حقيقة،أو لأنّ من كان عقبه ضالاً خبيثا فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه فيكون إطلاقه عليه على سبيل الاستعارة،و كذلك قوله: ((و الشجرة الّتي لا أصل لها و لا فرع)) استعار له لفظ الشجرة الموصوفة بما ذكر إشارة إلى حقارته و دناءته،لأنّ الشّجرة الّتي ليس لها فرع و لا قرار ساقطة عن درجة الاعتبار حقيرة في الأنظار و يحتمل أن يكون المراد بالوصفين نفى صفة الكمال ، بمعنى أنّها ليس لها أصل ثابت و لا فرع مثمر(٣٧) .

وتبقى دواعي المتكلم وظروف النص حاضرة في توجيه الخطاب وتحديده ، إذ قد يكون من المناسب التعبير الإنشائي في الخطاب الحجاجي ،لما في ذلك التعبير من معان تكون: ((أقوى تجديدا لنشاط السامعين وأشد تنبيها وأكثر إيقاظا وأدعى إلى المطالبة بالمشاركة في القول وفي الحكم وهي في الوقت نفسه أدق في تصوير مشاعر الخطيب وأفكاره ، لأن أفكاره ومشاعره المتنوعة في حاجة إلى أساليب تفصح عنها))(٣٨)،من ذلك ما قاله (u) لأبن عباس في إحتجاجه مع الخوارج:((لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ اَلْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَ

يَقُولُونَ،وَلَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً))(٣٩)،فالنهي وسيلة حجاجية أراد منها الإمام (u) صورة تعليمية يفاد منها في ذلك الشأن،فالألفاظ في سياقها تحمل معان مختلفة و وجوه عديدة فإذا تمسّك أحد بمعنى و فسّره بما يوافق مقصوده تمسّك الخصم بوجه آخر و تفسير يخالفه فلا يخصم(٤٠)،وبذلك يكون الحجاج في كل من الأسلوبين له دلالاته المقصودة،قال بعض الباحثين مفرقا بينهما ((أنك لو تأملت لوجدت الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الإنشاء غير الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الخبر))(٤١).

أما الوصف فيعد من السمات الحاضرة في الخطاب الحجاجي عند الإمام (u)،إذ استعمله لإستمالة المخاطب وإثارته ،بلغة تقوم على التصعيد والتقابل وبصورة متساوية المقاطع تهز أحوال النفس ومشاعرها لما هو موصوف،يقول (u):((فَقُبْحاً لَكُمْ وَ تَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَ لاَ تُغِيرُونَ وَ تُغْزَوْنَ وَ لاَ تَغْزُونَ وَ يُعْصَى اَللَّهُ وَ تَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ اَلصَّيْفِ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ اَلْقَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا اَلْحَرُّ وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي اَلشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ اَلْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا اَلْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ اَلْحَرِّ وَ اَلْقُرِّ فَأَنْتُمْ وَ اَللَّهِ مِنَ اَلسَّيْفِ أَفَرُّ))(٤٢).

فالغرض هنا ((الهدف الذي يرمى إليه بنبل أو نحوه))(٤٣)،وصفهم الإمام (u) بذلك لتخاذلهم وخنوعهم في الذب عن أنفسهم ودينهم،وهي صورة حية يمكن حدوثها في كل زمان ومكان،مادامت أحوال النفس متغيرة وغير ثابتة على مبدأ ما،أما الجمالية اللغوية في التقابل فتتضح هنا في قوله (u) (فقبحا لكم وترحا) و (يغار عليكم ولا تغيرون) و (تغزون ولا تغزون) و (يعصى الله وترضون) و (حمارة القيظ وصبارة القر)،حيث تفرض هذه الأوصاف المتقابلة بوقعها الإيقاعي والمعنوي تحريكا إنفعاليا وجدانيا على المخاطب يوقظ ضميره ويشعره بفداحة عظيم جنايته .

ويأتي الإطناب مكملا لنسيج النص مانحا إياه نمطا فنيا مثيرا يدركه المتلقي ويذعن لتفصيلاته في باب الحجاج،ليس من باب ((ما يزاد الكلام فيه لشرح ما هو معروف فيظن السامع أنه زيادة لا حاجة إليه، بل لأن ما زيد في هذا الصدد يقال في كل شيء يعظم مناله، ويعز الوصول إليه، فيؤكد الأمر فيه على هذا

الوجه))(٤٤). يقول (**u**) في وصف رؤية الله محاججا من سأله: ((لاَ تُدْرِكُهُ اَلْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ اَلْعِيَانِ وَ لَكِنْ تُدْرِكُهُ اَلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ اَلْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ اَلْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلاَمِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ لاَ بِرَوِيَّةٍ مُرِيدٌ لاَ بِهِمَّةٍ صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لاَيُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ تَعْنُو اَلْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَ تَجِبُ اَلْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ))(٤٥)، فالأطناب بذكر هذه الصفات لايخلو من دلالة تقصدها الإمام (**u**)،فالمقام كما هو واضح مقام تشريف يتعلق بالذات الآلهية،وعلي (**u**) من العارفين بتلك الحقيقة المقدسة،لذلك أطال الحديث إظهارا لتلك الصفات الشريفة وتنبيها للعقول على كمال قدرته وجلال عظمته،ومن جانب آخر إذعان السائل بتلك الحجج التي لاتنالها العقول أو تتصورها ممن هو في شأنه ومنزلته.

أما الحذف فهو كذلك لم يبتعد عن الحجاج في خطاب الإمام (**u**) لدلالات ذات علاقة بالنص والمخاطب والمتكلم ،يقول عبد القاهر فيه ((باب دقيق المسلك،لطيف المأخذ،عجيب الأمر شبيه بالسحر،فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر،والصمت عن الإفادة،أزيد للإفادة،وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن))(٤٦).وظفه الإمام (**u**) في قوله:((عَجَباً لاِبْنِ اَلنَّابِغَةِ ؟ يَزْعُمُ لِأَهْلِ ؟ اَلشَّامِ ؟ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَ أَنِّي اِمْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً وَ نَطَقَ آثِماً أَمَا وَ شَرُّ اَلْقَوْلِ اَلْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يُسْأَلُ فَيَبْخَلُ وَ يَخُونُ اَلْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ اَلْإِلَّ))(٤٧)، مستغنيا عن الفعل بذكر المصدر النائب عنه وحذف موصوف ابن لغرض الإطلاق في دلالة

التعجب،والتّحقير لما بدر منه في ذلك الإفتراء مؤكدا ذلك (**u**) من خلال التعبير بالمصدر فهو أثبت وألزم للمعنى المراد تحقيقه في ذلك الحجاج.

ويتجلى في نظم آخر إبداع فريد يقوم على المزاوجة بين الجمل الاسمية والفعلية،حيث التعبير بأحداهما في سياق لاتنفع فيه الأخرى،فالاسم يدل على الحدث أو الحقيقة غير مقرون بزمان،أما الفعل فيدل على الحدث والحقيقة مقرونا بزمان ، وكل ماكان زمانيا فهو متغير، والتغير يشعر بالتجدد والحدوث،لذلك كانت الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث والاسمية تدل على الدوام والثبوت(٤٨)،قال (**u**) رادا على معاوية:((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَ أَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ اَلْأُلْفَةِ وَ اَلْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَ كَفَرْتُمْ وَ اَلْيَوْمَ أَنَّا اِسْتَقَمْنَا وَ فُتِنْتُمْ))(٤٩)،في نسق دقيق تتقابل فيه الجملة الاسمية مع الفعلية (انا آمنا وكفرتم) و (انا استقمنا وفتنتم) بمرجعية لغوية تحدد عودة،الجملة الاسمية إلى المتكلم،والفعلية إلى المخاطب،إشعارا بثبوت آل النبي على الحق الراسخ ،لذا أستعمل (**u**) ما يؤكد تلك الحقيقة معبرا عنها بالجملة الاسمية (انا آمنا)،قابلها التوظيف الفعلي للمخاطب (وكفرتم) دلالة على حدوث الكفر وتجدده منهم في زمن الرسول (**r**) وزمنه (**u**)،ولعل في ذلك العدول ((ضرب من التأكيد والمبالغة))(٥٠)،لإحداث حالة فكرية ذات تصعيد لغوي ملفت لخصائص الحجاج عند الأمام (**u**)،فضلا عن أن هذا الضرب من التعبير يعد من أهم الوظائف الحجاجية،فالتمثيل بالجملة الإسمية هو محاولة لجعل مانقوله يقع خارج دورة الزمان فلا تلابسه ذاتية ولا يداخله إنحياز فتكون أقوالنا بمنزلة الحقائق والمسلمات(٥١)،وهذا ما أراده (**u**) من خلال ذلك التوصيف.

أما التضمين فيمكن عده من خصائص الحجاج عند الإمام (**u**)،فتراه مضمنا بعض الأمثال لإلزام خصمه مايمكن أن يحط من شأنه،ويفت من حجته وبرهانه،يقول (**u**) لمعاوية:((أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اِصْطِفَاءَ اَللَّهِ؟

مُحَمَّداً (r) لِدِينِهِ وَ تَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا اَلدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ اَللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ اَلتَّمْرِ إِلَى هَجَرَ ؟ أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى اَلنِّضَالِ وَ زَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ اَلنَّاسِ فِي اَلْإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وَ فُلاَنٌ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اِعْتَزَلَكَ كُلُّهُ وَ إِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ وَ مَا أَنْتَ وَ اَلْفَاضِلَ وَ اَلْمَفْضُولَ وَ اَلسَّائِسَ وَ اَلْمَسُوسَ ومِاللطُّلَقَاءِ وَ أَبْنَاءِ اَلطُّلَقَاءِ وَ اَلتَّمْيِيزَ بَيْنَ اَلْمُهَاجِرِينَ اَلْأَوَّلِينَ وَ تَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَ تَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا وَ طَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ اَلْحُكْمُ لَهَا))(٥٢).

فقوله (u) كناقل التمر إلى هجر مثل قديم،يقول العرب:((كمُسْتَبْضِعِ التَّمْرِ إلى هَجَرَ قال أبو عبيد:هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها وذلك أن هَجَرَ معدنُ التمر والمستبضع إليه مخطئ ويقَال أيضاً:كمستبضع التمر إلى خيبر))(٥٣).ساقه الإمام (u) في معرض الإستهجان والتوبيخ لما أخبر به المخاطب،كونه يصدر من حقيقة ليست بصالحة فهي عليه لا له،متوجا ذلك الإستغراب بما تناقله العرب في ذلك المضمار وهو نقل التمر إلى هجر،وهجر لا تحتاج إلى تمر،فكذلك المخبر لم يغن بما جاء به من الإخبار شيئا.وعليه فالتضمين هنا أبرز دورا مكثفا في تفعيل الحجاج وحضوره في ذهن المخاطب المقصود وغير المقصود،لشهرة المثل تداوليا في المخيال العربي،مع إبراز حقيقة ثقافية تخص المخاطب (معاوية) أنه لم يحسن الخطاب الحجاجي المسند بالحقائق المتيقنة .

وفي نص آخر تتحقق جمالية أسلوبية في تنويع رفيع ،تسهم في تصعيد الخطاب الحجاجي وتفعيله في النفس،قال (u):حينما جمع الناس و حضّهم على

الجهاد فسكتوا مليّا: ((أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يَا ؟ أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ فَقَالَ (u) :مَا بَالُكُمْ لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ وَ لاَ هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ أَخْرُجَ وَ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ وَ لاَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ اَلْمِصْرَ وَ اَلْجُنْدَ وَ بَيْتَ اَلْمَالِ وَ جِبَايَةَ اَلْأَرْضِ وَ اَلْقَضَاءَ بَيْنَ اَلْمُسْلِمِينَ وَ اَلنَّظَرَ فِي حُقُوقِ اَلْمُطَالِبِينَ ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ اَلْقِدْحِ فِي اَلْجَفِيرِ اَلْفَارِغِ))(٥٤).

إذ حثهم (u) على الجهاد في بعض المواقف،فلم يجيبوه بشيء،كأن في آذانهم وقرا،فقال:(أمخرسون أنتم ؟) فأجابه واحد منهم بقوله :(إن سرت سرنا معك).فقال الإمام (u):(لا سددتم لرشد ، و لا هديتم لقصد) و الرشد الهداية و الاستقامة،و القصد الاعتدال ،و ليس هذا دعاء كما توهم البعض، بل بيانا لواقع الحال في صيغة الدعاء،و القصد منه اللوم و التوبيخ(٥٥)،فالملاحظ تكرار (سرت ، سرنا) و (لاسددتم ولاهديتم) و (أخرج ويخرج)، وهي بواعث نفسية أنطلقت من الإمام (u)،لترسم بأيحاءها حالات التردد والاضطراب في نفوس أصحابه من جانب وماكان يعتلج الإمام (u) من أذى في رؤية ذلك المشهد المرئي،إذ كرر الأفعال بنسق متقابل للإشارة إلى الحدث المحاجج فيه وهو طلب السير والخروج منه بشكل مستمر لم يتغير ولم يتبدل فناسبه حينئذ التعبير بالفعل لما يدل عليه من ((حدث مقرون بزمان))(٥٦) فضلا عن النفي المتكرر(بلا)،وهو نفي ((يمتد ليشمل الحاضر والمستقبل))(٥٧)،فيدخل فيه من لم يعرف الحق وأهله في حركة الزمن.

خاتمة البحث ونتائجه

*لم يخل الحجاج عند الإمام (**u**) من وظائف قصدية ساقها الموقف والظرف المضطرب نفسيا واجتماعيا وسياسيا آنذاك،فترجمت بلغة أختزنت ذلك الواقع من فضول ملح واحتجاجات غير عقلائية ورغبات جامحة ساعية لمآربها على حساب المعتقد ومصالح الناس.

*خروج الحجاج في نهج البلاغة عن محيط العرف اللغوي المتمثل بالخصام والمغالبة إلى دائرة التوجيه والتنبيه في شتى المقتربات التي وقع فيها هذا الملحظ الخطابي،وبأدوات إستدلالية تقوم على الإقناع والتشويق في معرفة المضمر من الحجج .

* تنوع الخطاب الحجاجي عند الإمام علي (**u**) من عقدي إلى أخلاقي إلى إنساني إلى تشريعي إلى إجتماعي،يفصح عن سعة المساحة التي أحتلها هذا الأسلوب في زمنه (**u**)، أي كثرة المعارضين والمراوغين في السجال اللاواعي وغير المدرك لما يحاجج فيه .

* لم يكن الحجاج ذا فضاء محدود عند الإمام،بل الإطلاق في أفق المعالجة والتقويم،أساسه وكينونته،فقد صحح الإمام (**u**) من خلال الحجاج الإستدلالي المسارات الخاطئة في التفكير العقدي إزاء الخالق أو مسائل تخص القضاء والقدر،أو ما يتعلق بالمنهج التربوي حيث التهذيب الأخلاقي للسلوك الإنساني،أو ما يتعلق بالبناء الثقافي بشكل عام،لاسيما كشف التلفيق الإعلامي المضلل بأساليبه وتمويهاته.

* تكامل الخطاب الحجاجي بممارسة لغوية جمالية تكتنز الدلالة المؤثرة في السامع،حيث الإشباع بخصائص لها حضورها في تفجير دلالة الحجاج وإبراز جمالياته،كالتنوع في الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء على وفق ما يقتضيه المقام وحال المخاطب.

* إنفتاح خارطة الحجاج على أساليب أخرى كالإطناب والوصف والحذف والعدول من الاسمية إلى الفعلية والتضمين والتكرار يشير إلى نزعة ملحة تبغي التأثير والضرب على الذات البشرية كي تفهم الطاقة الكامنة في ذلك الحجاج المتشعب القدرات المؤسس لمراحل متحركة تخرج عن زمنه (**u**).

الهوامش

(١) الآخر في القرآن :٥
(٢) علم اللغة الاجتماعي :٢٣٧.
(٣) العين:١٦٣/١،وينظر:تهذيب اللغة :٤٢١/١، وينظر:مجمل اللغة:٣٧٢/١ .
(٤) لسان العرب :٢٢٨
(٥) التحرير والتنوير :٣١/٣، ٣٢
* ينظر:المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :٢٤٦ .
(٦) الحجاج في القرآن : ١١
(٧) الفروق اللغوية :١٢٢/١ ، وينظر:الحِجَاج بين النظرية والأسلوب:١٦،عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج):١٢ ،التداولية والحجاج (مداخل ونصوص):٢١، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية):٤٥٦.
(٨) شرح نهج البلاغة :٢٠٠/٥
(٩) م.ن: ٢٢/١٤
(١٠) م.ن : ٣٧/١
(١١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٥٢/١
(١٢) سلطة الحق:٤٣٨،وينظر:الراعي والرعية: ٢٦١، وينظر:الإسلام والرأي الآخر: ١١٣
(١٣) مهزلة العقل البشري: ٨٣، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور: ١٠٣
(١٤) شرح نهج البلاغة : ١٦٨/١
(١٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٦١/١
** يكفي في ذلك مراجعة : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام:٢٢٧/٦
(١٦) شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٢١
(١٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:٤/ ١١
(١٨) محاولات في تحليل الخطاب :١٢٢
(١٩) شرح نهج البلاغة: ٧٦/٢
(٢٠) م.ن: ٢/ ٧٩
(٢١) م.ن: ١٧٠/٢
(٢٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:٣٥/١
(٢٣) شرح نهج البلاغة: ٢٥٤/٨
(٢٤) م.ن : ١١/١٧
(٢٥) م،ن:٨٨/٢
(٢٦) في ظلال نهج البلاغة:١٥٤/١

(٢٧) شرح نهج البلاغة:٥٣/٢
(٢٨) في ماهية اللغة وفلسفة التأويل:١٥٥.
(٢٩) شرح نهج البلاغة:١١١/١
(٣٠) شرح نهج البلاغة:١٨٨/١
(٣١) في ظلال نهج البلاغة: ٥٨/٣
(٣٢) شرح نهج البلاغة:٥٢/٢
(٣٣) م.ن: ٥٣/٢
(٣٤) في ظلال نهج البلاغة:١٧٦/١
(٣٥) الإيضاح في علوم البلاغة :١٧
(٣٦) شرح نهج البلاغة :٨٠/١
(٣٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:٧٨/٢
(٣٨) جواهر البلاغة:٧٦، وينظر:سلطة الحق:٢٩٥
(٣٩) شرح نهج البلاغة:٧٧/١
(٤٠) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:٢٣/٢
(٤١) دلالات التراكيب :٢٨٤
(٤٢) شرح نهج البلاغة:٨١/٢
(٤٣) لسان العرب:١٩٤/٧
(٤٤)المثل السائر:٣٤٦/٢.
(٤٥) شرح نهج البلاغة:١/ ١٦٨
(٤٦) دلائل الإعجاز :٤٢
(٤٧) شرح نهج البلاغة:٧٤/١
(٤٨) الفعل زمانه وأبنيته:٢٠٣ ،٢٠٤، وينظر:معاني الأبنية في العربية:٩،وينظر:نظرات لغوية في القرآن الكريم :٦٣
(٤٩) شرح نهج البلاغة:٤٣/١٤
(٥٠) المثل السائر:٥١/٢
(٥١) الحجاج في القرآن:٤٤٠
(٥٢) شرح نهج البلاغة:٢١/١٦
(٥٣) مجمع الأمثال:١٥٢/٢
(٥٤) شرح نهج البلاغة:٥١/١
(٥٥) في ظلال نهج البلاغة:١٠١/١
(٥٦) اللغة العربية معناها ومبناها:١٠٤،وينظر:الفعل زمانه وأبنيته:٢٠٣.
(٥٧) التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية:٣٠٧

مصادر البحث

*القرآن الكريم
*الآخر في القرآن،غالب حسن الشابندر،مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد،٢٠٠٥م.
*استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)،عبد الهادي بن ظافر الشهري،دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
*الإسلام والرأي الآخر (تجربة الأمام علي أنموذجا)، حسن السعيد ،دار الهادي، بيروت ، ط١، ٢٠٠٣م.
* الإيضاح في علوم البلاغة،الخطيب القزويني (٧٣٩هـ)،عبد المنعم الخفاجي،دار الكتاب ،بيروت،ط٥، ١٩٨٠م.
*التحرير والتنوير،الطاهر أبن عاشور،الدار التونسية للنشر،تونس،١٩٨٤م.
* التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور،د. مصطفى حجازي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط٩ ،٢٠٠٥ م.
*التداولية والحِجَاج (مداخل ونصوص)،صابر الحباشة،دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.
* التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية،د. هادي نهر،مطبعة الإرشاد، بغداد ، ١٩٨٧ م.
* تهذيب اللغة، أبو منصور مُحمَّد بن أحمد الأزهري (ت:٣٧٠هـ)،علق عليه:عمر السلامي، وعبد الكريم حامد،دار إحياء التراث،بيروت،ط١، ١٤٢١ هـ.
* جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،أحمد الهاشمي،أحمد الهامشي،مطبعة الاعتماد، مصر،ط١٠،١٩٤٠ م.
*- الحِجَاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب "نحو المعنى والمبنى"،باتريك شارودو،ترجمة:الدكتور أحمد الودرني،دار الكتاب الجديد المتحدة،ليبيا،ط١، ٢٠٠٩م.
* الحجاج في القرآن (من خلال أهم خصائصه الأسلوبية)،عبد الله صولة،دار الفارابي، بيروت، لبنان،ط٢ ،٢٠٠٧ م.
*دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني (٤٧٣هـ)،تصحيح وتحقيق:السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت،١٩٧٨ م.
* دلالات التراكيب دراسة بلاغية،محمد حسنيين أبو موسى،مكتبة وهبة،القاهرة ، ط١، ١٩٩٧م.
*الراعي والرعية،توفيق الفكيكي ،دار الغدير،إيران ط١ ،١٤٢٩ هـ.
* علي سلطة الحق،عزيز سيد جاسم،تحقيق وتعليق:صادق جعفر الروازق،منشورات الإجتهاد، ط١ ، ٢٠٠٠ م.

*عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)،الدكتور عبد السلام عشير،مطابع أفريقا الشرق،الدار البيضاء،٢٠٠٦م.
*شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء التراث العربي،ط١ ،١٤٢٦ هـ.
*علم اللغة الاجتماعي،كمال بشر،دار غريب للطباعة،القاهرة،(د.ت).
*العين، الخليل بن احمد (ت:١٧٥هـ)،مهدي المخزومي،وإبراهيم السامرائي،مؤسسة الميلاد، قم،ط١، ١٤١٤ هـ.
*الفروق اللغوية،أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ)،دارالآفاق الجديدة، بيروت،ط١، ١٩٧٣م.
* في ظلال نهج البلاغة،محاولة لفهم جديد ، محمد جواد مغنية،مؤسسة الكتاب الإسلامي ، ط٢، ١٤٢٦ هـ.
*الفعل زمانه وأبنيته،إبراهيم السامرائي،مطبعة العاني،بغداد ،١٩٦٦ م.
*في ماهية اللغة وفلسفة التأويل،د.سعيد توفيق ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، ط١، ٢٠٠٢ م.
*لسان العرب،الإمام أبو الفضل جمال الدين مُحمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت:٧١١هـ)،دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٧ م.
*اللغة العربية معناها ومبناها: د.تمام حسان، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣ م.
*المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم مُحمَّد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت:٦٣٧هـ)،تحقيق:أحمد الحوفي وبدوي طبانة،منشورات دار الرفاعي الرياض،ط٢، ١٩٨٣ م.
*مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر،(د.ت).
* مجمل اللغة،أحمد بن فارس (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق : الشيخ هادي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربية،الكويت،١٩٨٥ م.
*محاولات في تحليل الخطاب،صابر الحباشة،بيروت، ط١، ٢٠٠٩ م.
*معاني الأبنية في العربية،فاضل السامرائي،الكويت،ط١ ،١٤٠١ هـ.
*المعجم المفهرس لألفاظ القرآن،محمد فؤاد عبد الباقي،منشورات ذوي القربى،إيران ط٣، ١٣٨٤ هـ.
*المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، وشركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (د.ت).
*مهزلة العقل البشري،د .علي الوردي،دار الحياة، (د.ت) .
*منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،حبيب الله الهاشمي الخوئي،طهران،ط٤، ١٤٠٥هـ.
*نظرات لغوية في القرآن الكريم،**د. صالح بن حسين العايد**، دار إشبيليا،الرياض،ط٢٠٠٢،٢م.